https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة

أ.د. محروس السيد بريك

جامعة قطر، وكلية دار العلوم، جامعة القاهرة
mmohammad@qu.edu.qa

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يقف على ملامح التلقي العربي الراهن لأعمال سوسير؛ وذلك بعد العثور على مخطوطات جديدة اكتُشفَت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام *1996*م. وبخاصة أنه قد وردت بتلك المخطوطات أفكار تعارض بعض ما ورد في كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره بالي وسشيهاي عام*1916*، والذي ذهب رومان جاكبسون، في محاضرة له بالكوليج دي فرانس، إلى أنه كتابٌ مؤلَّف مُختلَق.

تمثلت أهم تلك المخطوطات في قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه المحاضرات بخط سوسير، نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة منها بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام *2002*م بباريس، وهي تمثل ثلث تلك المخطوطات المكتشفة، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليست العربية من بينها حتى كتابة هذه السطور.

فهل ما زلنا نحن العرب أسرى الأفكار التي وردت في كتاب (المحاضرات)، والتي غَدت عندنا أشبه بالمسلّمات اللسانية؟ أم أن هناك فئة واكبت ذلك التطور المعرفي في حقل اللسانيات؟ وهل توقفنا عند مجرد نقل المعرفة وتمثّلها أم أن هناك دورًا عربيًا في نقد المعرفة اللسانية؟

الكلمات المفاتيح:

دي سوسير- التلقي العربي الراهن- مخطوطات مشتل البرتقال- بالي وسشيهاي- كتابات في اللسانيات العامة.

.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Contemporary Arabic Reception of Saussure After his discovered Manuscripts recently

Dr. Mahrous Borayyek
Qatar University, Dar al-Ulum - Cairo University
mmohammad@qu.edu.qa

Abstract:

This research attempts to capture the features of Arab reception of the Writings of Ferdinand de Saussure, after the discovery of new manuscripts acquired in Saussure orange orchard in 1996. In particular, these manuscripts contained ideas that conflicted with some of the book "Lectures in General Linguistics" published by Paley and Sishai, which Roman Jacobson, in his lectures at the Collège de France, found it as A lied book.

Simon Bocky and Rudolf Engler published 100 pages of these manuscripts under the title "Writings in General Linguistics" in 2002 in Paris, representing one-third of these manuscripts, which translated into thirteen languages, none of them are Arabic.

Are the Arabs still prisoners of ideas, which were mentioned in the first book, which became axiomatic? Or are there researchers that accompanied that cognitive development in the field of linguistics? Have we stopped at the mere transfer of knowledge and represent it or is there an Arab role in the criticism of linguistic knowledge?

Keywords:

Arabic Reception- Orbital Manuscripts- Writings in General Linguistics.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

بعد

تمهيد:

بعد قرن من الزمان على رحيل سوسير عاد مؤسس اللسانيات الحديثة مرة أخرى ليبعثر أوراق اللسانيين ويشغل أذهان الباحثين في اللغة والأدب على حد سواء، فشرع فريق منهم يُعيد قراءة لسانياته في ضوء أمرين:

أولهما: أن (بالي *Bally* وسشيهاي *Séchehaye*) لم يطلعا على كل ما دونه جميع تلامذة سوسير خلفه في محاضراته، وأن ما أثبتاه في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) ما هو إلا خلْقٌ شائه من فكر سوسير[1] لا يعبر بصدق عن أفكار سوسير بقدر ما يعبر عن فهمهما الخاص للسانيات سوسير، وبخاصة أنهما لم يحضرا محاضرات سوسير بسبب التزامات مهنية (راستييه 2017، ص452).

ثانيهما: العثور على مخطوطات جديدة عام1996م، وردت بها أفكار تعارض بعض ما ورد في ذلك الكتاب الذي نشره بالي وزميله. وتمثلت تلك المخطوطات في:

1- نصوص بعنوان (الماهية المزدوجة للغة) وهي نصوص كتبها سوسير في الفترة من 1891 و1896؛ أي أنها نصوص سابقة على دروس سوسير التي نشرها بالي وزميله،

2- مدونات بقية الطلبة لدروس سوسير،

3- قصاصات وملحوظات تحضيرية لهذه الدروس بخط سوسير، اكتشفت في مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م[2]. وعُرفت بين الدارسين باسم (مخطوطات مشتل البرتقال).

[1]. "ذهب رومان جاكبسون، في محاضراته بالكوليج دي فرانس، إلى أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) مؤلَّف مُختلَق"، كما أن "ألبير ريدلنغر، الذي كانت دفاتره المصدر الأساس لشارل بالي وألبير سشيهاي، قد خلص إلى أن بالي قد بتَرَ اللسانيات العامة". انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ترجمة: حسن المودن، وحافظ إسماعيلي علوي، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص453، و454.

[2]. نشر سيمون بوكي ورودولف إنجلر مائة صفحة من هذه المخطوطات بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام 2002م بباريس، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليس من بينها العربية حتى الآن

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لم ينشر سيمون بوكي *Simon Bouquet* ورودلف إنجلر *Rudolf Engler* من هذه المخطوطات المكتشفة بالفرنسية سوى مائة صفحة بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة *Writings in General Linguistics*) عام 2002م بباريس، وهي تمثل ثلث المخطوطات المكتشفة (راستييه 2017، ص458)، وترجمت تلك الكتابات إلى ثلاث عشرة لغة ليست العربية من بينها حتى كتابة هذه السطور.

صدرت الترجمة الإنجليزية للكتاب بعنوان *Writings in General Linguistics* عام 2006م في 366 صفحة من القطع المتوسط (سوسير 2006)، في أربعة فصول تسبقها مقدمة بقلم المترجمة كارول ساندرز *Carol Sanders* ومقدمة الناشرَين بوكي وإنجلر، وتتلوها ببلوغرافيا بعنوان (كتابات على سوسير) بقلم المترجمين كارول ساندرز وماثيو بيريس *Matthew Pires* ثم فهرس بالموضوعات. أما الفصول الأربعة فكانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: حول الجوهر المزدوج للغة،

الفصل الثاني: متفرقات وأمثال،

الفصل الثالث: كتابات أخرى في اللسانيات العامة،

الفصل الرابع: ملاحظات تمهيدية حول محاضرة في اللسانيات العامة.

كل تلك المخطوطات المكتشفة -ما نُشر منها وما هو قيد النشر- تشير إلى أن سوسير الحقيقي لا يتجلى فيما خطّه بالي وسشيهاي في الكتاب المنسوب إليه (محاضرات في علم اللغة العام) بل فيما خطّه هو بنفسه وفيما خطه بقية طلابه. فعلى سبيل المثال تطرح مخطوطات سوسير موقفه من البعد الاجتماعي للغة؛ إذ شاع أنه يرى أن اللسانيات تدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها بعيدًا عن أية مؤثرات خارجية، وهي فكرة تتضح جلية في السطر الأخير الذي ورد في نهاية كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)؛ إذ يثبت نص بالي وسشيهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها "علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته *la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagee en elle-meme et pour elle-meme*" (سوسير 1997، ص317). ويشير فرانسوا راستييه إلى أن هذه الجملة ليست من كلام سوسير بل هي صيغة تعود إلى فرانز بوب (1816م) (راستييه 2017، ص452)؛ أي قبل سوسير بقرن من الزمان.

للأسف الشديد. ويقوم الآن بوكي بإعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتمادا على كراسات الطلاب. (انظر: علوي والمـــــودن 2017م. ص396، ح2).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إن خطورة تلك الجملة أنها جعلت من سوسير بنيويّا صارمًا، لا يعبأ بأية مجالات خارج البنية اللغوية، في حين أن مخطوطات سوسير تؤكد اهتمامه بالبعد الاجتماعي للغة؛ حيث ينص على أنه "لا وجود للسان خارج المجتمع، وأن واقع اللسان واقع اجتماعي قبل أي شيء آخر" (دوبيكير 2015، ص193)، وينص كذلك على أن "اللسان هو واقعة اجتماعية... فالإنسان لا يكون كاملا إلا بما يستعيره من وسطه" (راستييه 2017، ص457)، وبعبارة أخرى لسوسير: "اللسان واقع اجتماعي، إن الفرد، المعد لأن يتكلم، لن يتمكن من استعمال جهازه إلا من خلال المجتمع المحيط به، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأي حاجة لاستعماله إلا في علاقاته معه. إنه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع" (دوبيكير 2015، ص198). وهذا يرجح أن تكون جملة (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) من وضع بالي وسشيهاي لا من إملاء سوسير؛ فهي أشبه بالنتيجة التي يتوصل إليها التلميذ بناء على فهمه الخاص للكلام، وليس بناء على إملاء الأستاذ؛ خاصة وأن بالي وسشيهاي نفسيهما يثبتان حديث سوسير عن الجانب الاجتماعي للسان في كتاب المحاضرات؛ ومن ذلك قوله: "اللسان له جانب فردي وجانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصور أحدهما بدون الآخر" (سوسير، ص26). ويشيران إلى أن سوسير يرى أن المظهر الاجتماعي قائم في أذهان أصحاب اللغة؛ إذ اللغة ليست كاملة في الفرد، بل تكتمل في أذهان جميع الأفراد الناطقين بهذه اللغة (ن. م، ص31 وما بعدها). فالجانب الاجتماعي عند دي سوسير -وفقًا لهذا العرض- هو الصور الذهنية للكلمات المخزونة في جميع عقول المتكلمين بهذه اللغة.

إن تلك الجملة (الهدف الوحيد للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) تعد من أكثر الجمل اقتباسًا من كتاب (محاضرات في علم اللغة العام)، وقد استُخدمت لتدعيم الزعم بأن سوسير "لم يكن معنيًا إلا بالنظام الشكلي المجرد للغة، وليس بدراسة اللغة في السياقات الاجتماعية الواقعية، ووفقًا لهذا التفسير فإنه لا يمكن فهم القواعد الكامنة للغة إلا بإقصاء التاريخ والمجتمع والثقافة والسياسة والناس والاستعمال" (كاراسكو 2017م، ص369).، وقد أدى ذلك إلى انحراف الدرس اللساني عن وجهته الحقيقية ردحًا من الزمن؛ وذلك بدراسة الأبنية اللغوية منعزلة عن المؤثرات الخارجية.

هذه أهم الأفكار التي جرى تحريفها، وهناك عدة أفكار غيرها كشفت عنها مخطوطات سوسير تبين لنا مدى جناية بالي وسشيهاي على سوسير من حيث إرادتهما الإحسان إليه.

لقد أدت جناية بالي وسشيهاي إلى انتقادات عديدة للسانيات سوسير في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته ؛ انصبت على أن لسانيات سوسير السانكرونية (الآنيّة) قد فشلت وأصابها العقم؛ لأنها استبعدت عناصر جوهرية من حقل اللسانيات هي (الفرد والمَجتمع والتاريخ)؛ لذا لابد من إبعاد سوسير ولسانياته عن اللسانيات الدياكرونية (التعاقبية) (راستييه 2017، ص456-457).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لم تتوقف جناية بالي وسشيهاي على جانب المحتوى فحسب، بل على الجانب الأسلوبي؛ يقول جاكبسون: "لقد كان هناك تغيير في الأسلوب، فعندما يضع سوسير علامة استفهام، يضع المحررَان نقطة نهاية. وبذلك تحوّل السؤال إلى معتقد" (ن. م، ص465). ولم يفطن بالي وسشيهاي إلى طبيعة الفكر السائد في ذلك الوقت، إنه فكر "ينتمي بلا شك إلى التراث الذي كان يسمى سابقًا تساؤليًا" (ن. م، ن ص)، وإلى ذلك الضرب من الفكر كان ينتمي سوسير؛ إنه يضع أفكاره في صيغة تساؤلات تقبل النقاش لا في صيغة معتقدات جازمة لا تقبل الجدل، وأكّد تلك الفكرة أن سوسير لم يكن يقرأ من كتاب، بل كان يلقي محاضراته بناء على قصاصات يعدها سلفًا.

تجليات التلقي العربي الراهن لسوسير الجديد:

يمكننا تتبع أهم تجليات تلقي الباحثين العرب لسوسير الجديد في الوقت الراهن في ضوء المتغيرات الآنفة الذكر، وذلك من خلال رصد أربعة محاور:

1- نقل المعرفة: ونرصد من خلالها ترجمة بعض المؤلفات والمقالات التي تدور حول الأفكار الجديدة لسوسير.
2- تمثُّل المعرفة: ونعني بذلك التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد.
3- الاحتفاء بالمعرفة: من خلال رصد جوانب الاحتفاء بمئوية سوسير.
4- نقد المعرفة: ويعد هذا الجانب أهم جوانب التلقي العربي الراهن لسوسير.

أولا: نقل المعرفة:

الناظر في الجهود العربية في مجال ترجمة بعض منجزات الغربيين حول سوسير الجديد يجد أنها تميزت عن تلك التي سبقتها في ترجمة كتابه الذي وضعه بالي وزميله من جهتين:

أولاهما: التنوع في الترجمات الراهنة عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بسوسير بعد ظهور تلك المخطوطات المشار إليها.

وثانيهما: أنها اتسمت بالمتابعة شبه السريعة من الجهة الزمنية.

فنقل الكتاب الأول الذي وضعه بالي وسشيهاي إلى اللغة العربية لم يتحقق إلا بعد مرور عشرات السنوات على صدوره عام1916 م؛ وقد سبقَ نقلَ ذلك الكتاب ورودُ بعض أفكار سوسير في كتابات الرعيل الأول من اللسانيين العرب الذين اتصلوا اتصالا مباشرًا باللسانيين الغربيين في منتصف القرن العشرين؛ لكن هذا الجيل لم يُقدم على نقل الكتاب إلى العربية، ولعل أهم أسباب ذلك ما ورد في

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تلك الرواية الشفوية التي يرويها الكراعين في مقدمة ترجمته لكتاب سوسير من أن كمال بشر أراد أن يترجم هذا الكتاب لكنه أحجم عن ذلك لصعوبة هذا الكتاب في رأيه (سوسير 1985، ص4).

ولعل أبرز محاولة مبكرة لترجمة بعض فقرات من كتاب سوسير هي تلك التي قام بها عبد الرحمن الحاج صالح في بحثه الموسوم "مدخل إلى علم اللسان الحديث" نشره في العدد الأول من مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر 1972م. وفي العام نفسه نشر كمال بشر بحثًا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان: "كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين" قدم فيه عرضًا تعريفيًا موجزًا بالكتاب، وتناوله بالنقد مبينًا بعض أوجه القصور التي تخللته من وجهة نظره؛ ومن ذلك ما شاب لغة الكتاب من اضطراب وتعقيد، فسره بشر بأن عبارة التلميذ (يعني بالي وزميله) لا ترقى إلى عبارة الأستاذ في الدقة والوضوح، وذلك يؤكد ما ذكره الكراعين أن أهم أسباب عزوف بشر –وربما كثير من المترجمين في فترة مبكرة- عن ترجمة هذا الكتاب تتمثل في صعوبة لغته والتواء أسلوبه (ن.م، ن ص).

وأما ترجمة الكتاب كاملا فقد تأخرت كثيراً حتى الربع الأخير من القرن الماضي؛ إذ صدرت أول ترجمة لكتاب سوسير عام 1984 عن دار نعمان للثقافة ببيروت، بعنوان (محاضرات في الألسنية العامة) وأنجز تلك الترجمة يوسف غازي ومجيد النصر. وصدرت في عام 1985م ثلاث ترجمات للكتاب نفسه؛ أولاها: ترجمة يوئيل يوسف عزيز ومراجعة مالك المطلبي بعنوان: (علم اللغة العام) عن دار آفاق عربية، بغداد. وثانيها: ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة عن الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، بعنوان: (دروس في الألسنية العامة). وثالثها: ترجمة أحمد الكراعين عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية بعنوان: (فصول في علم اللغة العام). ثم ترجمة أخرى لعبد القادر قنيني عن دار أفريقيا الشرق عام 1987م بعنوان: (محاضرات في علم اللسان العام).

ولا يخفي عز الدين المجدوب دهشته من غرابة تأخر نقل هذا الكتاب المهم إلى العربية، ويحاول أن يضع أيدينا على بعض الدوافع التي كانت خلف ذلك التأخر؛ نجمل أهمها فيما يأتي (المجدوب 1987، ص43-45):

- جدة هذا العلم الطارئ على العرب،
- في هذا الكتاب صعاب يرجع بعضها إلى الفترة التاريخية التي كتب فيها، وبعضها الآخر إلى ملابسات نشره بعد وفاة سوسير،

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- ظهر الكتاب في حقبة قريبة العهد باللسانيات التاريخية؛ لذا تشيع فيه كثرة الشواهد المستمدة من لغات أخرى؛ مما يضفي على ترجمته صعوبة لا يتيسر الإلمام بها لكثير من المترجمين.
- ظهور مصطلحات سوسيرية جديدة استعملها سوسير بمعنى ثم تطورت اللسانيات فأكسبتها محتوى جديدًا يخالف معناها عند سوسير،
- إن من نشر الكتاب ليس مؤلفه بل تلميذاه بالي *Bally* وسشيهاي *Sechehaye*؛ مما يعني أن الكتاب كان عرضة لتصرفهما تبعًا لفهمها الخاص.

لكنّ الأشد غرابة هو ظهور تلك الترجمات الخمس لهذا الكتاب في بضع سنين من 1984 حتى 1987، وكل ترجمة من هذه الترجمات تختلف عن الأخرى في اللغة والأسلوب وفي كثير من المصطلحات، بل في طريقة الكتابة العربية لاسم (سوسير) نفسه! وهذا مردّه إلى غياب مؤسسة عربية جامعة في مجال الترجمة.

هذا في حين أن حركة الترجمة الآنية لبعض ما يثار حول سوسير الجديد تتسم بالمتابعة شبه السريعة إلى حدٍّ ما، وإن كانت هناك صعوبة بالغة في متابعة كل ما تلقي به المطابع حول سوسير في ظل مخطوطاته المكتشفة مؤخرًا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أهم كتاب في هذا المجال وهو كتاب (كتابات في اللسانيات العامة) الذي نشره سيمون بوكي ورودولف إنجلر عام 2002م بباريس، ولم يترجم إلى العربية بعد، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه عبارة عن مائة صفحة من مخطوطات سوسير نفسه، علاوة على أن سيمون بوكي يعكف الآن –بعد وفاة إنجلر عام 2003[1]- على إعداد طبعة جديدة لمحاضرات سوسير اعتمادا على كراسات الطلاب.

على أية حال، ما زالت الترجمات العربية في هذا المجال في حاجة إلى مزيد من الجهد، وقد قادنا البحث في الترجمات العربية إلى رصد ما يلي:

- البحث عن فردينان دي سوسير، لميشيل أريفيه، ترجمة: محمد خير البقاعي. نشر المترجم بعض أجزائها مُنجّمة خلال عامي 2007م و2009م في مجلة نوافذ الصادرة عن النادي الأدبي في جدة بالسعودية. ثم نشرها كاملة في كتاب صدر عن دار الكتاب الجديد المتحدة،

[1]. أشار راستيبه إلى أن هناك طبعة أخرى من مخطوطات سوسير يقوم على إعدادها بوكي وإنجلر، حيث يقول: "وسوف تتلوها طبعة جديدة للمحاضرات أعدها اعتمادا على كراسات الطلاب". [سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، ص396، حاشية رقم2].

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ببيروت، لبنان، عام 2009م. في 324 صفحة من القطع المتوسط منها 26 صفحة فهارس فنية.

- الفصل الرابع من كتاب: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، ونشرته المنظمة العربية للترجمة عام 2012م.
- وقد عرض المؤلفان في هذا الفصل محتوى (الدروس) اعتمادا على الطبعة الأصلية لبالي Bally وسشيهاي Sechehaye بتقديم وتعليق مورو 1995م، وعلى ما نشره كوماتسو وهاريس عام1993م لمذكرات أحد الطلبة بعنوان (المحاضرة الثالثة في علم اللغة العام)، وعلى نصوص نشرها إنجلر وبوكي عام 2002م بعنوان (*Writings in General Linguistics*).

- سوسير واللسانيات المعاصرة، وهو مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، وصدر عن بيت الحكمة، بغداد، 2014م، ويحتوي الكتاب على 13 بحثًا هي ثمرة المناقشات التي دارت في طاولة الحوار التي أقامها قسم اللسانيات العامة والأسلوبية بكلية اللغة والآداب في جامعة فرونيش بالتعاون مع قسم اللغة والأدب الفرنسي في الكلية نفسها؛ حيث ناقشت تلك الطاولة المسائل اللسانية النظرية للسانيات المعاصرة التي تأثرت بلسانيات سوسير.
- فهم فرديناند دو سوسور وفقًا لمخطوطاته: مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات، تأليف: لويك دوبيكير، وترجمة: ريما بركة، نشرته المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، سبتمبر2015م. وهو كتاب في 319 صفحة من القطع المتوسط منها 25 صفحة فهارس فنية.
- أن نقرأ نصوص دي سوسير، بحث من تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من الأبحاث التي ألقيت ضمن مؤتمر "ده صوسير بعد مائة عام من الغياب" الذي عقد بجامعة القاضي عياض بالمغرب يومي 13 و14 إبريل 2017م.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر أيضا ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محيي الدين محسب، نُشر كذلك ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.

عند النظر في محتوى تلك الترجمات العربية التي بين أيدينا نستخلص عدداً من الأمور المهمة حول اللسانيات السوسيرية في ضوء المخطوطات المكتشفة، ونوجز تلك الأمور فيما يأتي[1]:

1- إن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي عام 1916م ليس من تأليف سوسير، بل هو تلفيق منهما؛ إذ إنهما لم يحضرا أية محاضرة من محاضرات سوسير، كما أنهما اعتمدا على دفاتر ثلاثة طلاب فقط من طلاب سوسير.

2- إن بالي وسشيهاي لم يكن لديهما ذلك البعد الفلسفي الذي كان لدى سوسير، فجاء عملهما ملفقًا، وغير مكتمل؛ إذ حذفا مقدمة الفصل الثاني التي كتبها سوسير والمكونة من 100 صفحة، وفي هذه المقدمة خلاصة فكر سوسير.

3- يشير راستييه إلى أن بالي وسشيهاي قد حدَّدا فكر سوسير بأنه (نظام من اللسانيات السكونية)؛ وكان دافعهما في هذا الحكم على لسانيات سوسير يتغذى على القطيعة بين لسانيات سوسير واللسانيات التاريخية المقارنة، دون أن يبررا تلك القطيعة.

[1]. انظر -إضافة إلى الكتب المترجمة المشار إليها في المتن- الترجمات الآتية التي نشرت ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن2017م: (أن نقرأ نصوص دي سوسير تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حسن المـــودن وحافظ إسماعيلي علوي). و(سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفَة وتَلَقّياتٌ جديدة: مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير، تأليف: فرانسوا راستييه، ترجمه إلى العربية: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن). و(بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون). و(النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف دي سوسير، تأليف: وليم ج. كاراسكو، ترجمة: محيي الدين محسب).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

4- اتسم نشر بالي وسشيهاي لكتاب (محاضرات في علم اللغة العام) بالتناقض خاصة فيما يتصل بتعريف الحقل المعرفي ذاته، وهنا تكمن الخطورة؛ إذ يثبت نص بالي وسشيهاي أن سوسير يتصور اللسانيات بوصفها (علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته)، في حين تقضي مخطوطاته بأن الجانب الاجتماعي والتداولي جزء جوهري في اللسانيات. وبذلك يتضح خطأ تلك الفكرة التي تلقاها اللسانيون عبر سنوات طويلة، إنها فكرة وجود لسانيات منعزلة في برجها البنيوي العاجي.

5- تتفق تلك الترجمات على أن كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي يُعدّ أقل المصادر مصداقية وأكثرها انحرافًا عن فكر سوسير؛ لذا فهو يأتي في ذيل المصادر المعتمدة لفهم تفكير سوسير.

وتختلف تلك الترجمات حول ما ينبغي البدء به؛ ففي حين يرى بعض الباحثين أنه علينا أن نبدأ بقراءة مخطوطات سوسير أولا، ثم تدوينات طلابه، يرى بعضهم الآخر أنه ينبغي أن نبدأ بتدوينات الطلاب، ثم بمخطوطات سوسير. ويعلل الفريق الثاني وجهة نظره بأنه من الصعوبة بمكان تأويل كتابات سوسير، كما أن في تواريخها ووضعها بعض الإشكال، في حين تحظى كراسات الطلاب بجودة عالية، كما أنها متطابقة بشكل عام (راستيي 2017، ص396، ح1).

وعلى الرغم من أن كتاب المحاضرات هو أقل تلك المصادر مصداقية فإن هناك فئة كبيرة من العلماء والباحثين ما زالت تستقي فكر سوسير من ذلك الكتاب دون غيره!! وسأمثّل لذلك بأمثلة عربية فيما بعد في هذا البحث في المبحث الموسوم بـ: (جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير).

6- تثبت مخطوطات سوسير أنه لم يكن يقصد بثنائياته المشهورة (الدال/ المدلول) (اللغة/ الكلام) (التزامني/ التاريخي) (الفردي/ الاجتماعي) أن تكون متقابلات أو متواجهات أو أزواجاً متضادة، وليس أدل على ذلك من تلك الجمل الدالة التي وردت في مخطوطات سوسير المكتشفة:

- "كما أنه لا جدوى من اعتبار الفكرة خارج العلامة، فإنه لا جدوى من اعتبار العلامة خارج الفكرة" (ن، م، ص401).
- "لم يعد لكم الحق في أن تُقَسِّموا، وأن تقبلوا بالكلمة من جهة، وبدلالتها من جهة أخرى، فهما يشكلان شيئًا واحدًا" (ن. م، ص402).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- "سيميولوجيا= مورفولوجيا، نحو، تركيب، ترادف، بلاغة، أسلوبية، معجميات، إلخ؛ فهي كلها شيء غير قابل للانفصال" (ن. م، ص409).

لم يكن سوسير إذن، يقصد بتلك الثنائيات أن تكون جزراً منعزلة، بل كانت رؤية سوسير للغة رؤية شمولية ما دامت السيميائيات تشمل (الصرف، والنحو، والمعجم، والبلاغة، والأسلوبيات، والتداوليات...، وكلها غير قابلة للفصل، وكل فصل بينها هو فصل إجرائي لا غير). فأين سوسير البنيوي الذي زعموه؟!

ثانيًا: تمثُّل المعرفة: التأليف العربي الراهن حول لسانيات سوسير الجديد:

لم تتوقف جهود العرب في اللحظة الراهنة على نقل المعرفة عن طريق الترجمة، بل تخطّت ذلك إلى الإسهام في تأويل تلك الأفكار الجديدة، والوقوف على أبعادها، ونقدها في بعض الأحيان، وبيان أثرها لا في دراسة اللغة فحسب بل وفي دراسة الأدب والنقد. لكن على الرغم من ذلك بقيت بعض الجهود العربية الراهنة حبيسة تلك الأفكار القديمة التي وردت في كتاب (محاضرات في علم اللغة العام). وبيان ذلك فيما يأتي:

الاتجاه الأول: جهود عربية تمثّلت المعرفة الجديدة حول سوسير:

ولعل أهم تلك الجهود ما أنجزه مصطفى غلفان الذي أصدر سِفرين من أهم ما كتب عن سوسير الجديد؛ وقد صدر كلا الكتابين مطلع عام 2017 عن دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، أحدهما بعنوان (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد)، ويقع في 380 صفحة من القطع المتوسط، والآخر بعنوان: (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول)، وبلغ عدد صفحاته 344 صفحة من القطع المتوسط.

يتسم هذان الكتابان بالعمق المعرفي والإحاطة بأفكار سوسير؛ إذ اطلع المؤلف على تلك الأفكار في لغتها الأم دون واسطة، واستطاع أن يصوغ رؤيته الخاصة حولها، من خلال حسن العرض ووضوح الفكرة وسلاسة اللغة.

ففي الكتاب الأول (لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد) آثر غلفان معالجة أهم الإشكالات التي أثارها تلقي سوسير الجديد، وفي مقدمتها التحليلات الفيلولوجية التي أنجزها الدارسون حول كتاب (محاضرات في علم اللغة العام) المنسوب لسوسير؛ من خلال تناول أهم المفاهيم التي شاعت في ذلك الكتاب نحو: موضوع اللسانيات، ومفهوم اللغة، واللسان، والكلام، والعلامة اللغوية، والاعتباطية، والسيميولوجيا. ولم يشَأ غلفان في هذا التناول أن ينصرف إلى الجزئيات التفصيلية، بل اهتم بالأساس بالقضايا المنهجية العامة لسوسير.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والجديد في عمل غلفان هذا هو أنه تناول تلك القضايا من خلال إطلاع القارئ العربي على جزء من تناول الغربيين حول (سوسير الجديد) أو (سوسير الحقيقي)، وليس سوسير النمطي الذي عهده الدارسون العرب من خلال الكتاب المعروف.

وأما الكتاب الآخر لغلفان (اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول) فيعد مكمّلا لما أسلفه في كتابه السابق؛ إذ تناول فيه ثلاثة مفاهيم رئيسة في لسانيات سوسير وفي اللسانيات الحديثة بشكل عام وهي: (اللغة) و(اللسان) و(العلامة اللغوية)، وهو في ذلك ينطلق من جملة من المصادر الأصول التي تتمثل في المخطوطات التي اكتشفت مؤخرًا، والتي أشرنا إليها في صدر هذا البحث.

وقد حرص المؤلف في كتابه هذا على وضع ملحق مهم للقارئ العربي، يتمثل في نصوص من طبعة إنجلر *Engler* النقدية[1] تكشف عمليات التحريف التي أجراها بالي *Bally* وسشيهاي *Sechehaye* من خلال الإضافة أو الحذف أو التعديل؛ حيث وضع نصوص بالي وزميله مقابل النصوص التي دوّنها الطلبة نقلا عن سوسير، ويتبدى للقارئ من خلال المقارنة السريعة أن سوسير المحاضرات (محاضرات في علم اللغة العام) ليس هو سوسير الحقيقي؛ بل هو صورة غائمة الملامح وربما بدون ملامح حقيقية لسوسير.

إن أهم نتيجة يؤكدها كتابا غلفان هي أن نسبة التقاطع بين سوسير الذي رسمه بالي *Bally* وسشيهاي *Séchehaye* وسوسير الحقيقي (أو الجديد) نسبة ليست بالكبيرة، وأنه بات من الإنصاف إعادة فهم سوسير فهمًا جديدًا وفقا لتلك الأصول المكتشفة.

وأما ثاني هذه المحاولات العربية في التأليف حول سوسير الجديد فهي محاولة لمحيي الدين محسب؛ فقد نشر مقالا في 24 صفحة عام 2016م بمجلة فصول المصرية ع79، عنوانه: (خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإبستمولوجية) أشار في مطلعه إلى المخطوطات السوسيرية المكتشفة حديثا وما قدّمته من أفكار جديدة حول لسانيات سوسير، ويطرح سؤالا حول علاقة سوسير بقضية اللغة في الأدب، ويؤكد أن لسانيات سوسير أحدثت ثورة في نظرية الأدب تأثيرًا وتأسيسا في الشكلانيات والبنيويات والأسلوبيات والسيميائيات، ويصل محيي الدين محسب إلى نتيجة مفادها أن العلاقات

[1]. في عام 1957 ظهرت دراسة روبير غودل R. Godel (المصادر المخطوطة لمحاضرات في علم اللغة العام)، وتلتها عام 1968 طبعة نقدية أنجزها ألبرني رودولف إنجلر Alberni Rodolf Engler قدم فيها عرضًا إجماليًا عن مجموع كراسات طلاب سوسير المتاحة آنذاك. (انظر: بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات، سيمون بوكي، ترجمة: د. مبارك حنون، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م، ص386).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والتحولات الإبستمولوجية في الخطاب بين النظريات اللسانية في تعاملها مع الظاهرة الأدبية، والنظـريات النقـدية في تعاملها مع الظاهرة اللغوية، تـؤكـد -على الأقل- أمرًا واحدًا حاسمًا وهو إسقاط المنظور الأحادي في تفسير هذه الظاهرة.

الاتجاه الثاني: جهود عربية راهنة لم تتمثل المعرفة الجديدة حول سوسير:

سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الجهود العربية الراهنة التي اهتمت بالتأليف حول لسانيات سوسير، لكنها لم تطلع على الدراسات حول مخطوطات سوسير المكتشفة لا في لغتها الأم ولا في ترجماتها إلى اللغة العربية، فظلت بذلك تدور في فلك سوسير التقليدي المحرَف الذي عهده الناس عبر قرن من الزمان.

ولعله من الغريب حقًّا أن يصدر عنوان عام 2017 ولا يلتفت إلى تلك الضجة حول سوسير الجديد؛ إذ نشر فوزي الشايب كتاباً عنوانه (سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار) صدر عن عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. ومع أن عنوان الكتاب يومئ إلى وجود جديد في ظل تلك الثورة التي أحدثتها مخطوطات سوسير فإن فصول الكتاب دارت حول الثنائيات السوسيرية كما وردت في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي نشره بالي وسشيهاي، ثم يدور الحوار والنقاش حول ما ورد في ذلك الكتاب دون أن يتسمّع إلى تلك الضجة التي أحدثتها تلك المكتشفات الجديدة.

وعلى هذا النحو كذلك سار ثامر الغزي من قبل في بحث له بعنوان (ماذا بقي من سوسير؟) المنشور في مجلة علامات بجدة، المجلد 12 العدد 46، عام2002م. وعلى الرغم من أن العنوان يغري بوجود جديد، فإن المحتوى يدور في فلك اللسانيات السوسيرية كما وردت في كتابه الذي وضعه بالي وزميله، دون أدنى ذكر للمخطوطات السوسيرية الحديثة أو إشارة إلى ما استجد في الموضوع.

وكذلك الأمر في بحث آخر بعنوان: (بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا) لعلي الشروش وعبد الكريم السلامات، نشراه في مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، العدد 29 الجزء 3، وعلى الرغم من أن تاريخ نشر هذا البحث هو عام 2016 فإنه لا يتضمن أية إشارة إلى سوسير الجديد، ويسير كسابقه في فلك سوسير المحرَف كما ورد في كتابه القديم.

ولو استرسلنا في عد الكتب والبحوث التي سارت على هذا النهج لأعيانا الأمر، وهذا يعني أن هناك فئة كبيرة من الباحثين العرب عموما، ومن اللسانيين خصوصا تنأى بنفسها عن متابعة ما يجد من أفكار لسانية متسارعة، في الوقت الذي نشطت فيه حركة الترجمة العربية في مجال اللسانيات، ولم تعد تتأخر في نقل المعرفة كما كانت في السابق، وتلك إشكالية من إشكالات تلقي اللسانيات في ثقافتنا.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ثالثًا: الاحتفاء بالمعرفة:

نشير هنا إلى الاحتفاء بسوسير في بعض النشاطات العلمية التي احتضنتها بعض الجامعات العربية، على غرار الجامعات الغربية، احتفاء بمئوية سوسير، ومن ذلك:

1- المؤتمر العلمي الدوليّ التاسع عشر لكلية الآداب بالجامعة المستنصرية بالعـــراق، مـــن 2 إلى 4 أبريل/ نيسان 2013م بعنوان (سوسير: حياة في اللغة)، وقد نُشرت بحوث ذلك المؤتمر في كتاب يحمل العنوان نفسه، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، وصدر الكتاب عن مكتبة الحضارات ببيروت، في 484 صفحة من القطع المتوسط. وقد احتوى الكتاب على خمسة وعشرين بحثًا، تدور أغلبها حول سوسير التقليدي، سوى بحث مصطفى غلفان بعنوان (نص لم يكتبه مؤلفه) بيّن فيه جناية بالي وسشيهاي على سوسير، وهو بحث شكل جزءًا من كتابيه الآنفَي الذكر.

2- ندوة (اللسانيات: مائة عام من الممارسة) المنعقدة يوم 26 نوفمبر2013 بمخبر أبحاث في اللغة والأدب بجامعة بسكرة. "ولا تكشف أوراق هذه الندوة عن أصداء لما كانت واقعات الكشوف السوسيرية في الفضاء المعرفي الغربي قد بدأت تدور به، منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين، وصولاً إلى ذروتها في العقدين الماضيين" (كاراسكو 2017، ص352).

3- مؤتمر (اللسانيات: 100 سنة بعد دروس دي سوسور) عقد في الفترة (من 14-16 نوفمبر 2016) نظمته جامعة الجزائر2 بالاشتراك مع مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية التابع لـوزارة التعليم العالي والبحث العلميّ الجزائرية، وفي بعض العناوين المقدمة في هذا المؤتمر ما يشير إلى التنبه إلى تناول سوسير وفق مخطوطاته المكتشفة مؤخرًا، خاصة بحث لفرانسوا راستييه الذي شارك في هذا المؤتمر ببحث بالفرنسية بعنوان (كيف يُقرأ دي سوسير)[1].

4- مؤتمر (ده صوسير بعد مائة عام من الغياب) نظمته كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القاضي عياض بمراكش – المغرب، في يومي 13 و14 إبريل 2017م، وتدور بحوث هذا المؤتمر حول سوسير الجديد؛ وكانت فئة من هذه البحوث ترجمات

[1]. قدم د. محيي الدين محسب عرضًا موجزًا لهذا المؤتمر، انظر: السابق، ص352–353. أما بحث فرانسوا راستييه فقد ترجمه لاحقًا حسن المودن وحافظ علوي بعنوان (أن نقرأ نصوص دي سوسير)، ونشر ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، ص447–470.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لبعض ما كُتب حول سوسير بعد اكتشاف مخطوطاته. ونُشرت بعض تلك الأبحاث في كتاب بعنوان (العودة إلى سوسير) وقد عرضتُ البحوث التي احتواها ذلك المؤتمر في ثنايا هذا البحث من قبل.

رابعا: نقد المعرفة:

نادرًا ما تنصرف جهود العرب في حقل اللسانيات إلى نقد المعرفة المترجمة، وبخاصة في مرحلة مبكرة من مراحل نقل تلك المعرفة؛ إذ تنصرف الجهود –عادةً- في تلك الحقبة المبكرة إلى تعريف القارئ العربي بما استجد في اللسانيات لدى اللسانيين الغربيين، في وقت تتعاقب فيه المدارس اللسانية في سنوات وجيزة، بخلاف ما كان عليه الأمر في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

ومن أهم الدراسات التي تناولت نقد المعرفة اللسانية حول سوسير دراسة حديثة مصطفى غلفان بعنوان: "دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول" صدرت تلك الدراسة ضمن مجلة أنساق الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2018م.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تنقد نشرة بالي وسشيهاي الصادرة عام1916 في ضوء مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا، والتي أشرت إليها آنفًا غير مرة. وتعد دراسة غلفان هذه دراسة فيلولوجية تبين مدى تدخل بالي وسشيهاي في الجوانب المنهجية والمصطلحية والأسلوبية لسوسير (غلفان 2018، ص135).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن نشرة بالي وسشيهاي قد تعرضت للنقد المنهجي في الغرب في وقت مبكر انطلاقًا من معطيات فيلولوجية؛ إذ تتابعت الأعمال النقدية بدءًا من روبرت جودل *Robert Godel* الذي "نشرَ في الفترة من 1954م إلى 1957م نصوصًا جديدة منسوبة إلى سوسير وبعض تلامذته... نقلا عن دفاتر أحد طلبة سوسير" (ن. م، ص137). ثم مشروع رودلف إنجلر *Rudolf Engler* عامي 1967م و1974م وهو المشروع الفيلولوجي الأهم في هذا السياق؛ إذ "جاءت طبعة إنجلر في صفحتين متقابلتين مشطورة إلى ستة أعمدة، يُعيد أولها نص نشرة بالي، وتعرض الأعمدة الثانية والثالثة والرابعة فقرات المصادر المخطوطة التي اعتمدها الناشران [بالي وسشيهاي]، بينما يقدم العمودان الخامس والسادس فقرات نصية كانت مجهولة إبان صدور طبعة 1916" (ن. م، ن ص).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

والذي يلفت الانتباه أن هذا النقد الفيلولوجي قد سبق نقل نشرة بالي وسشيهاي إلى العربية بثلاثين سنة، لكنّا لم نجد أحدًا من المترجمين العرب قد أخذ تلك النشرات الفيلولوجية في الحسبان عند عملية الترجمة، على الرغم من أن كتاب المحاضرات قد تُرجم إلى العربية في خمس نسخ مختلفة في بضع سنين، كما أشرت من قبل.

ثم تتابع النقد المنهجي لنسخة بالي وسشيهاي في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، بعد اكتشاف مخطوطات مشتل البرتقال الخاص بآل سوسير عام 1996م، وظهور تلك النسخة الجديدة من عمل سوسير التي نشرها سيمون بوكي ورودولف إنجلر بعنوان (كتابات في اللسانيات العامة) عام 2002م.

يشير غلفان إلى أن تلك الأعمال الفيلولوجية قد أسفرت عن عدة أمور أهمها أن نشرة 1916م (محاضرات في اللسانيات العامة) قد تعرضت لتدخل بالي وسشيهاي، وتمثَّل ذلك التدخل في عدم تجانس المادة المعتمدة في نص الكتاب، وتغيير الترتيب الأصلي لموضوعاته، وتأويلهما لتصورات سوسير، وتعديل المنظومة المصطلحية لسوسير، وإهمال التغير الحادث في تصورات سوسير خلال السنوات التي ألقى فيها دروسه (المرجع نفسه، ص138)؛ إذ كان يقدم فكرًا تساؤليًا، مما حدا بهما إلى تأويل خاص لتصورات سوسير ربما قصد إلى بعضها ولم يقصد إلى بعضها الآخر.

أما عدم تجانس المادة المعتمدة في نشرة بالي وسشيهاي فمردّه إلى عدة أمور يمكننا أن نستخلص أهمها في أمرين (ن. م، ص138-140):

1- إن الناشرَين قد اعتمدا على دفاتر ثلاثة طلاب فقط من طلاب سوسير هم فرنسيس جوزيف، وهيلين، ودو بوردي،
2- إنهما أضافا فقرات من مخطوطة لسوسير بعنوان (ملحوظات من أجل كتاب في اللسانيات العامة) كتبها ما بين عامي 1893 و1894، وفقرات حول تحوّل العلامة ضمن مقالة كتبها سوسير عام1894 بمناسبة تأبين العالم الأمريكي ويليام ويتني.

وكل تلك الإضافات سابقة على محاضرات سوسير بفترة ليست بالقصيرة، وفي تلك الفترة كانت أفكار سوسير تتعرض للتغيير الدائم.

وأما تغيير ترتيب بعض الموضوعات فيتجلى في عكسهما لترتيب سوسير بين موضوعين مترابطين هما (تنوع الألسن) و(مفهوم اللسان)، بل إنهما باعدا بين هذين الموضوعين، فجعلا مفهوم اللسان في المقدمة والفصول الأولى، وتنوع الألسن أو (العائلات اللغوية) في آخر الكتاب (ن. م، والكراعين، ص401).

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

لكن أشدّ التحريفات التي قام بها بالي وسشيهاي فتتمثل في بعض الإضافات التي لم يقل بها سوسير، وإنما أُضيفت بناء على "تأويل تصورات الأستاذ في اتجاه قد لا يكون بالضرورة ما قصده صاحبها"[1]، وتعد تلك الجملة الحاسمة في نهاية الكتاب "الموضوع الحقيقي للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته *la linguistique a pour unique et véritable objet la langue envisagee en elle-meme et pour elle-meme*"[2] أشدها خطورة؛ إذ وجّهت -لفترة طويلة- معالم الدراسات اللسانية نحو الجانب الشكلي للغة بعيدًا عن الجوانب الاجتماعية للكلام. هذا في الوقت الذي تنص فيه مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرا على أنه كان على وعي بالدور الاجتماعي للكلام[3].

ولم يقتصر الأمر على الإضافة بل تعداه إلى حذف مقدمة محاضرات العام الثاني على الرغم من أهميتها؛ إذ "تتضمن الخطوط العامة لمشروع سوسير حول السيميولوجيا"[4]، وإذا ما علمنا أن تلك المقدمة تتناول جوهر تصورات سوسير حول "كل ما يجعل اللسان نظام تواصل اجتماعي" (ن. م، ن ص)[5] فقد تأكد لنا أن تلك الجملة الختامية الحاسمة (الموضوع الحقيقي للألسنية هو علم اللسان منظوراً إليه في ذاته ولذاته) إنما هي من وضع بالي وسشيهاي، وليست من إملاء سوسير.

ومن القضايا التي لم تبرز في ثنايا نشرة بالي وسشيهاي ذلك التردد الذي لازمَ سوسير في إطلاق بعض المصطلحات (ن. م، ص148-149)؛ نحو مصطلح علامة Signe الذي يدل إما على الجانبين الصوتي والدلالي للوحدة اللغوية، وإما على الجانب الصوتي فحسب، وظل هذا التردد مصاحبًا لسوسير حتى نهاية محاضرات العام الثالث حيث اطمأن إلى ثنائيته الشهيرة (دال/ مدلول).

لم تظهر كذلك في ثنايا نشرة بالي وسشيهاي تلك النزعة التساؤلية لدى سوسير، وهي نزعة كانت سائدةً في عصر سوسير، كما أشار إلى ذلك راستييه (ص465)[6]؛ إذ "لم يكن سوسير يمتلك أجوبة جاهزة أو حلولا نهائية يواجه بها عمق المعضلات اللغوية" (ص149)[7]، لذا يُعتقد أن عظمة سوسير تكمن في هذا الفكر التساؤلي المتجدد (المرجع نفسه، ص150)، ويصدق عليه وصف جاكبسون له بأنه ذلك

[1]. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص141.

[2]. Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, Publié par Charles Bailly et Albert Séchehaye, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro,1997, p317.

[3]. انظر: النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير، ص369. و: دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص142.

[4]. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص144.

[5]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]. انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص465.

[7]. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص149.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

"الشَّكَّاك الكبير *Le grand douteur* الذي يرى دائمًا في المسائل المدروسة جانبين" (المرجع نفسه، ص152)[1]. ولعل ذلك التردد الاصطلاحي الذي أشرت إليه آنفًا والذي صاحبه حتى نهاية محاضراته كان مردَّهُ إلى ذلك الشكّ أو تلك النزعة التساؤلية. لذا كان من التحريف الذي يبدو في ظاهره غير ذي شأن، وهو في الواقع تحريف جوهري، ذلك التغيير في علامات الترقيم، بأن يضع بالي وسشيهاي نقطة في نهاية الجملة، في الوقت الذي يضع فيه سوسير علامة استفهام طبقًا لمخطوطاته المكتشفة. فتحوّل بذلك السؤال إلى معتقد على حد تعبير راستييه[2].

لم تقتصر تحريفات بالي وسشيهاي على جانب علامات الترقيم، بل تعدت ذلك إلى جانب شكلي آخر له بُعد معرفي مهم، هو التحريف في بعض الأشكال التوضيحية، كما في الشكل الذي يظهر عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمستمع، على النحو الآتي[3]:

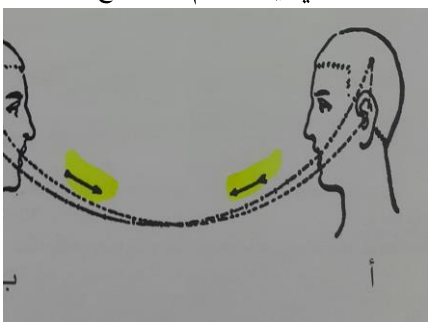

الشكل في نشرة بالي وسشيهاي

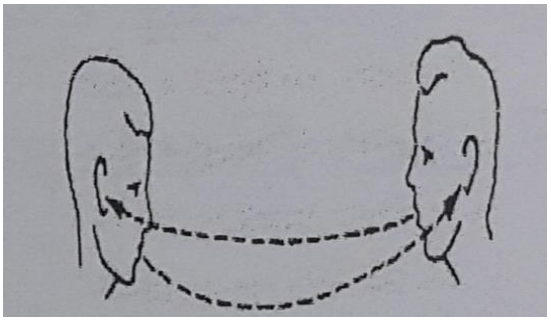

الشكل في دفاتر الطلبة

إذ يشير الشكل كما ورد في دفاتر طلبة سوسير إلى أن السهم ينطلق من (الدالّ) إلى (المدلول) في اتجاه واحد من الفم إلى الأذن، وليس كما يصوره الشكل في نشرة بالي وسشيهاي؛ إذ يتجاوز السهم الأذن والفم إلى حدود العقل بعدهما في اتجاهين متقابلين؛ مما يعني أن الشكل لديهما يعبر عن تأويلهما الخاص لمفاهيم سوسير، فالشكل عندهما يشير إلى أن المدلول يسبق الدالّ، وأن الفكر له الأولوية على اللسان، "حيث ترتبط الحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من الأصوات اللغوية (الصور الصوتية) التي تستخدم للتعبير عن هذه الأفكار، فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها. وهذه الظاهرة السايكولوجية تتبعها عملية فسيولوجية؛ إذ يرسل الدماغ إشارة مناسبة للصورة

[1]. المرجع نفسه، ص152.
[2]. انظر: أن نقرأ نصوص دي سوسير، فرانسوا راستييه، ص465. وانظر: المرجع نفسه، ص153.
[3]. انظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، ص29، وانظر: دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص144 –145.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات ..." (سوسير)[1]، وهذا يعني أن هذا الفكر "فكر جاهز وموجود في دماغ الفرد المتكلم، ينتظر من يمده بالأصوات للتعبير عن نفسه" (ص145)[2].

خاتمة:

أولا: اتسمت الجهود العربية في مجال نقل بعض منجزات الغربيين حول مخطوطات دي سوسير المكتشفة مؤخرًا بأمرين إيجابيين: أولهما: التنوع في الترجمات الراهنة عن عدة باحثين غربيين من الذين اهتموا بسوسير بعد أن نشر بوكي وإنجلر ثلث مخطوطات سوسير المكتشفة في كتاب بعنوان *Writings in General Linguistics* عام 2002م. والآخر: المتابعة شبه السريعة لمستجدات الدرس اللساني حول سوسير الجديد. وعلى الرغم من ذلك لمّا يُنقلْ إلى العربية ذلك الكتاب الأهم الذي يحوي ثلث مخطوطات سوسير.

ثانيا: استطاعت فئة قليلة من الباحثين العرب تمثُّل المعرفة اللسانية الجديدة حول سوسير من خلال التأليف العربي الراهن حول تلك اللسانيات في ضوء مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا.

ثالثا: تقليدًا لبعض الجامعات الغربية عقدت بعض الجامعات العربية بعض الندوات والمؤتمرات حول لسانيات سوسير عامَي 2016 و2017 احتفاء به بعد مرور مائة عام على رحيله، وكان في بعض بحوث تلك المؤتمرات صدى للمنجز اللساني حول مخطوطات سوسير المكتشفة.

رابعا: يُعدّ نقد المعرفة أهم جوانب التلقي العربي الراهن لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة. ولعله بعد كل تلك المراجعات النقدية الفيلولوجية لنشرة بالي وسشيهاي، في ضوء مخطوطات الطلبة ومخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا، تترجح عندنا مقولة رومان جاكبسون في محاضراته بالكوليج دي فرانس أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) "مؤلَّف مُختلَق"، ومقولة ألبير ريدلنغر "أن بالي قد بتَرَ اللسانيات العامة".

خامسًا: ترتب على تلك المراجعات الفيلولوجية نتيجة مهمة تتمثل في التردد في قبول بعض الأحكام اللسانية التي ترتبت على كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) على مدار قرن من الزمان بسبب هذه النشرة التي نشرها بالي وسشيهاي.

[1]. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، ص30.
[2]. دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول، ص145.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

سادسًا: لعلنا نطمئن إلى أن كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي نشره بالي وسشيهاي لم يعد هو المصدر الأول الموثوق به في استقاء أفكار سوسير، بل غَدَا آخر المصادر موثوقية بعد مخطوطات سوسير ثم مخطوطات طلابه.

سابعًا: أوصي في خاتمة هذا البحث بضرورة ترجمة كتاب *Writings in General Linguistics* إلى العربية؛ لكونه يمثل ثلث مخطوطات سوسير المكتشفة مؤخرًا، ولما له من أهمية بالغة في فهم سوسير وإعادة تشكيل بعض المفاهيم اللسانية المستقرة منذ قرن من الزمان. ولهذه الأهمية تُرجم إلى ثلاث عشرة لغة، ليست العربية من بينها حتى كتابة سطور هذا البحث.

***

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مراجع البحث:

- **أن نقرأ نصوص دي سوسير**، فرانسوا راستييه، ترجمة: حسن المودن وحافظ إسماعيلي علوي، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **البحث عن فرديناند دي سوسير**، ميشيل أريفيه، ترجمة: محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، عام 2009م.
- **بحث في دي سوسير عالما لسانيا فذا**، علي الشروش وعبد الكريم السلامات، مجلة كلية الآداب - جامعة طنطا- مصر، العدد29 الجزء 3، 2016م.
- **بعد مرور قرن من الزمان مخطوطات سوسير تعود لتبعثر اللسانيات**، تأليف: سيمون بوكي، ترجمه عن الفرنسية: د. مبارك حنون، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **ثلاث ترجمات لكتاب فرديناند دي سوسير**، عز الدين المجدوب، حوليات الجامعة التونسية، ع29، 1987م.
- **خطاب اللغة في الأدب وتحولاته الإبستمولوجية**، د. محيي الدين محسب، مجلة فصول، مصر، ع79، 2016م.
- **دروس في اللسانيات العامة لدو سوسير (نشرة 1916) قراءة في ضوء المصادر الأصول**، د. مصطفى غلفان، مجلة أنساق الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة قطر، المجلد الثاني، العدد الأول، فبراير 2018م، ص135.
- **سوسير: أبو اللسانيات، الخلفيات والأفكار**، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث –إربد– الأردن، 2017م.
- **سوسير: حياة في اللغة**، إعداد وتنسيق: د. مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت.
- **سُوسير في المستقبل: كتاباتٌ مُكتَشَفة وتلقّياتٌ جديدة/ مدخلٌ إلى إعادة قراءة سوسير**، فرانسوا راستييه، ترجمة: حافظ إسماعيلي علوي وحسن المودن، نُشر ضمن كتاب (العودة إلى سوسير) الصادر عن دار كنوز المعرفة بالأردن 2017م.
- **سوسير واللسانيات المعاصرة**، مجموعة بحوث علمية قام بترجمتها د. تحسين رزاق عزيز وأشواق محمد مطلق، بيت الحكمة، بغداد، 2014م،
- **علم اللغة العام**، دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف، مراجعة: مالك المطلبي، دار آفاق عربية، بغداد، 1985.
- **فصول في علم اللغة العام**، دي سوسير، ترجمة: أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1985م.
- **فهم فرديناند دي سوسير وفقًا لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات**، تأليف: لويك دوبيكير، ترجمة: ريما بركة، نشرته المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، سبتمبر2015م.
- **كتاب محاضرات في علم اللغة العام لسوسير وموقعه في آثار الدارسين**، كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج29، 1972م.
- **لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد**، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان، 2017م.
- **اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول**، د. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة– بيروت، لبنان، 2017م.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

- **ماذا بقي من سوسير؟**، ثامر الغزي، مجلة علامات، النادي الأدبي بجدة، المجلد 12 العدد 46، 2002م.
- **مدخل إلى علم اللسان الحديث**، عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات الصادرة عن جامعة الجزائر، ع1، 1972م.
- **النظر إلى الوراء لرؤية الآتي: إعادة اكتشاف سوسير**، وليم كاراسكو، ترجمة د. محيي الدين محسب، ضمن كتاب: العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017م.
- **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تأليف: ماري بافو وجورج سرفاتي، نقله إلى العربية: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة،2012م.**
- Ferdinand de Saussure, ***Writings in General Linguistics***, Edited by Simon Bouquet and Rudolf Engler, Translated by Carol Sanders and Matthew Pires, Oxford University Press. 2006.
- Ferdinand de Saussure, ***Cours de linguistique générale***, Publié par Charles Bailly et Albert Séchehaye, avec la collaboration de Albert Riedlinger, Édition critique préparée par Tullio de Mauro,1997.